

## القسم العمومي

## الاجتماع الثامن لجمعية أم القرى

في مكة المكرمة . يوم الخميس الخامس والعشرين من ذي القعدة سنة ١٣١٦  
 في صباح ذلك اليوم انتظمت الجمعية وقرأ البليغ الاسكندري ضبط اليوم السابق  
 على العادة المألوفة وأذن الأستاذ الرئيس للسيد الفراتي بإتمام بحثه  
 فقال ( السيد الفراتي ) ان من أعظم أسباب الفتور في المسلمين غرارتهم أي  
 عدم معرفتهم كيف يحصل انتظام المعيشة لانه ليس فهم من يرشدهم الى شيء من  
 ذلك بخلاف الأمم الأخرى فان من وظائف خدمة الأديان عندهم رفع الغرارة أي  
 الارشاد الى الحكمة في شؤون الحياة . وأما الأقسام الذين ليس عندهم خدمة دين أو  
 الشراذم الذين لا يتمون لخدمة دينهم فستقنون عن ذلك بوسائل أخرى من نحو  
 التربية المدرسية والأخذ من كتب الأخلاق وكتب تدبير المنزل ومفصلات فن  
 الاقتصاد والتواريخ المتقنة والرومانات الاخلاقية والتشيلية أي كتب الحكايات الوضعية  
 ونحو ذلك مما هو مفقود بالكلية عند غير بعض خاصة المسلمين  
 على ان الخاصة السالمين من الغرارة علماً لا يقوون غالباً على العمل بما يعلمون  
 لأسباب شتى منها بل أعظمها جهالة النساء المفسدة للنشأة الأولى وقت الطفولية  
 والصبوة ومنها عدم التمرن والالفة (١) ومنها عدم مساعدة الظروف المحيطة بهم الاستمرار  
 على نظام مخصوص في معيشتهم

ثم قال ولا أرى لزوماً للاستدلال على استيلاء الغرارة علينا لأنها مدركة مسلمة  
 عند الكافة وهي ما ينطوي تحت أجوبتنا عند التساؤل عن هذه الحال بقولنا : ان  
 المسلم مصاب . وان الله اذا أحب عبداً ابتلاه . وان أكثر أهل الجنة البله . وحسب  
 ابن آدم لقيات يقمن صلبه . وان غيرنا مستدرجون . وانهم كلاب الدنيا . وانهم  
 يملكون ظاهراً من الحياة الدنيا . وانهم في غفلة عن الموت وغفلة عن الدنيا شاخت .  
 ثم قال فن الغرارة في طبقاتنا كافة من الملوك الى الضعاليك انما لا ترى ضرورة  
 الاتقان في الأمور وقاعدتنا ان بعض الشيء يعني عن كله . والحق ان الاتقان ضروري

١٠ كما يتزنى أولاداً أكثر أمراً على أيدي اللالات أو الخاديات وما أدراك

ما تلك الحيوانات . اه من هامش الأصل

للنجاح في أي أمر كان بحيث اذا لم يكن مستطاعاً في أمر يلزم ويحتم ترك ذلك الامر كلياً والتحول عنه الى غيره من المستطاع فيه ابقاء حق الإتيان .

(ومن الغرارة ) توهماً ان شئون الحياة سهلة بسيطة فظن ان العلم بالشيء اجمالاً ونظرياً بدون تمرن عليه يكفي للمعمل به فيقدم احدنا مثلاً على الإمارة بمجرد نظره في نفسه انه عاقل مدبر قبل ان يعرف ماهي الإدارة علمياً وتمرن عليها عملاً ويكتسب فيها شهرة تميزه على القيام بها .

ويقدم الآخر منا على الاحتراف مثلاً ببيع الماء للشرب بمجرد ظنه ان هذه الحرفة عبارة عن حمله قريةً وقدحاً وتعرضه للناس في مجتمعاتهم ولا يرى لزوماً لتلقي وسائل إتقان ذلك عمن يرشده مثلاً الى ضرورة النظافة له في قريته وقدحه وطواهر هيئته ولباسه وكيف يحفظ برودة مائه وكيف يستبرقه (كذا) ويوهم بصفائه ليشهي به ومضى يغاب العطش ليقصد المجتمعات ويحجى منها الحياية له عن المزاحمين وكيف يتراغب الناس ويوهم بلسان حاله انه محترف بالإسقاء كفاً لنفسه عن السؤال الى نحو هذا من دقائق إتقان الصنعة المتوقف عليها نجاحه فيها وان كانت صنعته بسيطة حقيرة .

ومن الغرارة ظننا ان الكياسة في: أدري وأقدر : جواباً للنفس في ما صد كثيرة شتى والحقيقة ان الكياسة لا تحقق في الانسان الا في فن واحد فقط يتوابع فيه فيتقنه حتى الإتقان كما قال تعالى « ما جعل الله لرجلٍ من قاسبين في جوفه » فالعاقل من تخصص بعمل واحد ثم يجاوب نفسه عن كل شيء غير: لا أدري ولا أقدر: لأن الأول يتكلف اعمالاً لا يحسنها ففسد عليه كلها والثاني يحجى لكل عمل لازم له من يحسنه فتنظم اموره ويهنا عيشه .

فالملك مثلاً وظيفته النظارة العامة وانتخاب وزير يثق بأخلاقه ويعتمد على خبرته في انتخاب بقية الوزراء والسيطرة عليهم في الكليات فالملك مهما كان عاقلاً حكماً لا يقدر على إتقان أكثر من وظيفته المذكورة فالملك اذا تفرغ وتنزل للتداخل في أمور السياسة أو الادارة الملكية أو الأمور الحربية أو القضاء فلا شك انه يكون كرت بيت يداخل طباعه في مهته ويشارك بستائيه في صنعه فيفسد طعامه ويبور بستانه فيشتكي ولا يدري ان آفته من نفسه .

ومن « الغرارة » اللوث في الامور أي تركها بلا ترتيب والحكمة قاضية على كل انسان ولو كان زاهداً منفرداً في كهف جبل فضلاً عن سائس رعية او صاحب عائلة

ان يتخذ له ترتيباً في شئونه وذلك بأن يرتب

(اولاً) أوقاته حسب أشغاله ويرتب أشغاله حسب أوقاته والشغل الذي لا يجد

له وقتاً كافياً يمله بالكلية او يفوضه لمن يفي حق القيام به عنه .

(ثانياً) يرتب نفقاته على نسبة المضمون من كسبه فان ضاق دخله عن المبرم من

خرجه يغير طرز معيشته ولو بالتحويل مثلاً من بلدة الغالية الأسمار او التي مظهره

فيها ينمه من الاقتصاد الى حيث يمكنه ترتيبها على نسبة كسبه .

[ثالثاً] يرتب تقليل غائلة عائلته عند أول فرصة ملاحظاً اراحة نفسه من الكد في

دور العجز من حياته فيربي اولاده ذكوراً وإناثاً على صورة ان كلاً منهم متى بلغ

أشده يمكنه ان يستغني عنه بنفسه معتمداً على كسبه الذاتي ولو في غير وطنه .

(رابعاً) يرتب أموره الادبية على نسبة حالته المادية أعني يرتب أموره الدينية

ولذاته الفكرية وشهواته الجسمية ترتيباً حسناً فلا يحمل نفسه منها ما لا تطيق الاستمرار عليه .

(خامساً) يرتب هيله الطبيعي للمجد والتعالي على حسب استعداده الحقيقي فسلا

يترك نفسه تتناول الى مقامات ليس من شأن قوته المادية ان يبلغها الا بمحض الحظ

اي المصادفة . وخلاصة البحث ان الفرارة من أقوى اسباب الفتور وقد اطلت في

وصفها وإيضاحها ليناكد عند السادة الاخوان ان ازالة اسباب الفتور الشخصي

ليس من عقبات الامور .

ثم قال ان لانهلال اخلاقنا سبباً مهماً آخر ايضاً يتعلق بالنساء وهو تركهن

جاهلات على خلاف ما كان عليه اسلافنا حيث كان يوجد في نساءنا كأم المؤمنين عائشة

رضي الله عنها التي اخذنا عنها نصف علوم ديننا وكنات من الصحايات والتابعيات

راويات الحديث والفتوحات فضلاً عن الوف من العالمات والشاعرات — اللاتي في

وجودهن في العهد الاول بدون انكار — حجة دامغة ترغم انفس غيرة الذين يزعمون

ان جهل النساء احفظ لعقبتهم فضلاً عن انه لا يقوم لهم برهان على ما يتوهمون حتى .

يصح الحكم بان العلم يدعو للفجور وان الجهل يدعو للعفة . نعم ربما كانت العالمة اقدر

على الفجور من الجاهلة ولكن الجاهلة اجسر عليه من العالمة . ثم ان ضرر جهل النساء

وسوء تأثيره في اخلاق البنين والبنات امر واضح غني عن البيان وانما سوء تأثيره في

اخلاق الأزواج فيه بمض خفاء يستلزم البحث فأقول .

ان الرجال مبالون بالطبع الى زوجاتهم والمرأة اقدر مطلقاً من الرجل في ميدان

التجاذب الاخلاق ولا يتوهم عكس ذلك الأمن استحکم فيه تفرير زوجته له بأنها ضعيفة مسكينة مسخرة لارادته حل كون حقيقة الأمر انها قابضة على زمامه تسوقه كيف شاءت. ويتميز آخريفره انه أمامها وهي تنبهه فيظن انه قائد لها والحقيقة التي يراها كل الناس من حولها دونه انها انما تعني وراءه بصفة سائق لا تابع. وما قدر قدر دهاء النساء مثل الشريعة الاسلامية حيث أمرت بالحجب والحجر الشرعيين حصراً لسلطتهن وتفرغهن لتدبير المنزل فأمرت باحتجابهن احتجاباً بمحدوداً بعدم ابداء الزينة للرجال الاجانب وعدم الاجتماع بهم في خلوة أو لغير لزوم. وأمرت باستقرارهن في البيوت الاحاجة ولا شك انه ما وراء هذه الحدود الا فتح باب الفجور. وما هذا التحديد الا مرحلة بالرجال وتوزيعاً لوظائف الحياة.

والصينيون وهم أقدم البشر مدنية التزموا تصغير أرجل البنات بالضغط عليها لاجل ان يمسر عليهن المشي والسعي في افساد الحياة الشريفة ذلك الشرف الذي هو من أهم مقاصد التفرغين بخلاف الغربيين الذين لا يهمهم غير التوسع في الماديات والمذات وقد أمرت الشريعة برعاية الكفاءة في الزوج وذلك ايضاً مرحلة بالرجال والنساء.

لأمة المجتهدين أغفلوا لزوم محرمي الكفاءة في جانب المرأة لرجل وأوجبوا ان يكون هو كفواً لها فقط لكيلا تهلك بفخارها وتحكمها على ان لرعاية الكفاءة في المرأة بالنسبة الى الرجل ايضاً وحيات عائلية مهمة منها التخير للاستسلام والتخير لتربية النسل. وللتساهل في ذلك دخل عظيم في انحلال الاخلاق في المدن لان الزوج بمجهولات الاصول او الأخلاق او مسافلات الطباع والمعدات او بالفرجات جنساً او الرقيقات مفسد شقي لأن الرجل يتعرج طوعاً أو كرهاً لأخلاق زوجته فان كانت سافلة يتسفل للاحالة وان كانت غريبة بغضت اليه قومه وجرت له الى الالة قومه والتعلق بخلاقهم ولا شك ان هذه المفسدة تستحكم في الاولاد اكثر من الأزواج

وربما كان أكبر مسبب لانحلال اخلاق الامراء من المسلمين أنهم من جهة الامهات والزوجات السافلات اذ كيف يرجي من امرأة نشأت سافلة رقيقة ذليلة (١) ان تترك بعلمها وهو في الغالب أطوع لها من خالخالها ان يحيب داعي شهامة أو مروءة أو أن تفرز في رؤس صبيتهام مقاصد سامية أو تحمسهم على أعمال خطيرة كلاً لا تفعل ذلك أبداً انما تفعله الشريقات اللاتي يجدن في أنفسهن عزة وشهامة (٢) وهذا هو

(١) كالكرحيات الارمنيات والرقيمات الجركسيات امهات اكثر الامراء وزوجاتهم

(٢) كبنات بيوت المجيد الحريصات على الفخر وبنات أهل البادية والقرى الابيات النفوس

بسرّ ان أعظم الرجال لا يوجدون غالباً الا من أبناء وبعول نسوة شريفات أوبيوت قروية وهذا هو سبب حرص امراء العرب والافرنج على شرف الزوجات

( ثم قال السيد الفراتي ) أيضاً: واني أرى ان هذا الفتور بالغ في غالب أهل الطبقة العليا من الأمة ولا سيما في الشيوخ مرتبة ( الحور في الطبيعة ) لاننا نجدهم يتقصون أنفسهم في كل شيء ويتقاصرون عن كل عمل ويحجمون عن كل إقدام ويتوقعون الحية في كل امل . ومن أقبح آثار هذا الحور نظرهم الكمال في الاجانب كما ينظر الصبيان الكمال في آبائهم ومعلميهم فيندفمون لتقليد الاجانب واتباعهم فيما يظنونه رقة وظرافة وتمدناً ويتخذون لهم فيما يغشونهم به كاستحسان ترك التصلب في الدين والافتخار به فتم من يستحي من الصلاة في غير الخلوات . وكإهمال التمسك بالعمادات القومية فتم من يستحي من عمامته . وكالمدح عن الاعتزاز بالعشيرة كأن قوه بهم من سقط البشر . وكنبذ التحزب للرأي كأنهم خلة واقاصرين . وكالغفلة عن ايثار الاقربين في المنافع . وكالقمود عن التناصر والتراحم بينهم كي لا يشم من ذلك رائحة التعصب الديني وان كان على الحق — الى نحو ذلك من الخصال الذميمة في أهل الحور من المسلمين الحميدة في الاجانب لان الاجانب يموهون عليهم بأنهم يحسنون التحلي بها دونهم

وهؤلاء الواهنة يحق لهم ان تشق عليهم مفارقة حالات الفوها عمرهم كما قد يألف الجسم السقم فلا تلذ له العافية فانهم منذ نعومة أظفارهم تعلموا الأدب مع الكبير يقبلون يده أو ذيله أو رجليه . وألقوا الاحترام فلا يدوسون الكبير ولو داس رقابهم . وألقوا الثبات ثبات الأوتاد تحت المطارق . وألقوا الانقياد ولو الى المهالك . وألقوا ان تكون وظيفتهم في الحياة دون الثبات ذاك يتناول وهم يتقاصرون ، ذاك يطلب السماء وهم يطلبون الارض كأنهم لاموت مشتاقون ، وهكذا طول الألفة على هذه الخصال قلب في فكرهم الحقائق وجعل عندهم المخازي مفاخر فصاروا يسمون التصاغر أدباً والتذلل لطفاً والتملق فصاحة والاكثنة رزانة وترك الحقوق سماحة وقبول الامانة تواضعا والرضاء بالظلم طاعة كما يسمون دعوى الاستحقاق غموراً والخروج عن الشأن الذاتي فضولاً ومد النظر الى الغد أملاً والاقدام تهوراً والحمية حماقة والشهامة شراسة وحرية القول وقاحة وحب الوطن جنونا

ثم قال وليعلم ان النسوة الذين تعقد الأمة آمالها باحلامهم عسى يصدق مني

وتتعلق الأوطان بحيال همهم عساهم يأتون فعلاً مذكورا هم أولئك الشبان ومن في حكمهم المحمديون المهذبون الذين يقال فيهم ان شباب رأي القوم عند شبابهم الذين يفتخرون بدينهم فيحرصون على القيام بما فيه الاساسية نحو الصلاة والصوم ويحجبون مناهيه الاصلية نحو الميسر والمسكرات الذين لا يقصرون بناء قصور الفخر على عظام نجرها الدهر ولا يرضون ان يكونوا حلقة ساقطة بين الاسلاف والاخلاف الذين يعلمون انهم خلقوا احرارا فيأبون الذل والاسارة . الذين يودون ان يموتوا كراما ولا يحيون لثاماً . الذين يجهدون ان ينالوا حياة راضية حياة قوم كل فرد منهم سلطان مستقر في شؤنه لا يحكمه غير الدين وشريك أمين لقومه يقاسمهم ويقاسمونه الشقاء والظناء وولد بار بوطنه لا يتحل عليه بجزء طفيف من فكره ووقته وماله . الذين يحبون وطنهم حب من يعلم انه خالق من تراه . الذين يعشقون الانسانية ويعلمون ان البشرية هي العلم والبهيمية هي الجهالة . الذين يعتبرون ان خير الناس انفسهم للناس الذين يعرفون ان الفئوظ وباء الآمال والستردد وباء الاعمال . الذين يفقهون ان القضاء والقدر هما السمي والعمل . الذين يوقنون ان كل ما على الارض من أمر هو من عمل أمثالهم البشر فلا يتحيلون الا المقدره ولا يتوقعون من الأقدار الا خيراً .

وأما النشء المتفرج فلا خير فيهم لأنفسهم فضلا عن ان ينفعوا اقوامهم وأوطانهم شيئاً وذلك لأنهم لا خلاق لهم تجاذبهم الأهواء كيف شاءت لا يتعمون مسلكا ولا يسرون على ناس مطرد لانهم يحكمون الحكمة فيفتخروا بدينهم ولكن لا يعملون به تهاونا وكسلا (١) ويرون غيرهم من الامم يتباهون باقوامهم ويستحسنون عاداتهم ومخازنهم فيميلون لناظرهم ولكن لا يقوون على ترك التفرج كأنهم خالقوا أتباعاً (٢) ويجدون الناس يمشقون أوطانهم فيندفعون للتشبه بهم في التشيب والاحساس فقط

(١) أكبر ما يشق عليهم ويتكسلون عنه الصلاة التي هي عماد الدين . وثم مخاطبتهم بلسانهم فنقول : ان الطهارة والوضوء هما عين (التوالت) أو بعضه وتمكن بدقيقتين أو ثلاث وأفعال الصلاة هي عين (الجنستك) واكمل منه لانها موزعة ولا تستغرق الركعة منها أكثر من دقيقة فأطول صلاة تطول عشرة دقائق . بناء عليه فليك على نفسه من يقصر نشاطه عن الصلاة والصوم اللذين لو لم يكن فيهما حكمة غير أنهما شعار يهرق بهما المسلم . الكافي (٢) هذه حكمة الشرع في حظره ترك سنة الاسلاف وتقليد الاغيار ولو في اللباس وهذه الامم الافرنجية تنفر من التقليد حتى في القياسات والموازين

دون التثبت بالأعمال التي يستوجبها الحب الصادق، والحاصل ان شؤون النش المنفرج أيضاً لا تخرج عن تذبذب وتلون وتناقٍ يجمعها وصف « لأخلاق لهم » والواهة خير منهم لانهم متمسكون بالدين ولورباة وبالطاعة ولو عمياء على انه يوجد في المنفرجة أفراد غيورون كالراسخين من أحرار الأتراك المتهيبين غيرة يقتضي احترام منيتهم.

ثم قال ( السيد الفراتي ) ان الحور المبحوث فيه علة ومدية تسري من الشيوخ الى الشبان ومن الطبقة العليا الى العامة وليت الشيوخ والكبراء يرضون بما كتبه الله عليهم من الذلة والمسكنة والحمول وسقوط الهمة والدناءة والاستسلام فيتركوا أهل النشأة الجديدة وشأنهم لا يستهزؤن ولا يعطلون ولا يسفهون ولا يتبطون وما أظهم بفاعلين ذلك أبداً الا أن تصدى لهم جراند مخصوصة تقابلهم باللوم والتبكيك وتساط عليهم أقلام الأدباء والسنة الشمراء بوضع أهاجي وأناشيد بمبارة بسيطة محلاة بنكت مضحكة لكي تنتشر حتى على السنة العامة . وبمثل هذا التدبير تنور حرب أدبية بين النش والواهة لا تلبث أن تنتهي بانكسار الفئة الثانية أولئك البائسين المتفاسلين المتواكلين المتعاضين المتخاذلين المتشاكسين العاجزين عن كل شيء إلا التمطيل

ومن راجع تواريخ الامم التي استرجعت نشأتها والدول التي جددت عصيتها يجد من حكماؤها ومجباها مثل حسان قريش وكيت الباسيين ولوتر الالمانيين وقولتر الفرنساويين قد تغلبوا على الفكر الواهن وأنصاره من الأشراف والشيوخ وأهل العناد والفساد بحمل لواء النش، وأثارة حرب أدبية حماسية بين الفئتين على اننا نحن تكفينا الضوضى ولا نحتاج قط للفضى لأن واهتنا أضف من أن نحوجنا أن نتظر أم حسان تله حسناً ورب حيلة أنفع من قبيلة ( ٤٣٣٣٧١ ) ٢٤١١١٨٤٩٩٨٤٧٧١٢٤٠٤٣٣٣٧١ ٣٥٤٢٩٣٤٨٤٧٢٢٦٤٢٥٥٤٢٤٢٤٨٢٢١٣٠٧١٩٢٣٤١٧٤٦١٦٨٢٤٢١٣١١ ١٩٠٥٠٥٣٣٤٧٨٦٦٢٤٥٥٢٤٤٣٨٩٢٤٢٤٤٢٣٩٤١٧٧٦٦٨٧٥٣٩٣٧٤٢٣٥ ٢٥٩٤١٤١٠٢٦١١١٨١٠١٤٩٧٨٥٥٥٨٤٣٢٢٨٨٩٣٥٧٤٥

والله ولي النيات

ثم ختم ( السيد الفراتي ) كلامه بقوله هذا ما ستح لي في هذا المرام وقام، وتبادل مع مع الفاضل الشامي والبلغ الاسكندري المقام

قال ( الأستاذ الرئيس ) ان مباحث الجمعية قد استوفت حقها وكفاني السيد الفراتي تاهيخ أسباب الفتور منها ولا أرى لزوماً لتلخيص بقية المباحث الدينية ( ٩٨ - المنار )

وقد أعطاني أخونا المدقق التركي رئيس لجنة القانون (السامحة) التي وضعتها  
اللجنة مطبوعة في نسخ على عدد الاخوان لتوزع عليهم فيطالعها كل منهم ويدققها  
قبل وضعها في اجتماعنا غداً في موقع المتذاكرة حيث يبحث فيها قضية فقضية بدون  
جزاف وأما اليوم فقد حل أوان الانصراف  
بادر ( السيد الفراتي ) وفرق على كل واحد من أعضاء الجمعية نسخة من سامحة  
القانون فأخذوها وتفرقوا

## باب التقليد والتعلم

الشذرة العاشرة منه بريدة الدكتور راسم (\*)

### التقليد والذاكراة

مثل هاتين القوتين في فنة العقل والتفكير به كمثل الفتات الخرافية التي كانت  
تظهر في بحر حقلية وتستهوي الملاحين بشجي صوتها فتوردهم في شامبه مورداهلكة  
فانهما يبلو مكانهما وجلال خطرهما في دراسة اللغات وبخدا عهما العقل أحياناً في آدابها  
بما يأخذانه عن الغير من محاسن القول وطرائقه يأكلان الاستعداد الحقيقي أكلًا .  
وقد يكون الذنب في ذلك على المرين دونهما لما يتهجونه من طريقة التربية فان أحداً  
لا يرتاب في كون ينك القوتين من المواهب الخلقية الميمونة بيد أن هذا لا ينبغي أن يكون  
سبباً للافراط في تميتها. فانك ترى التلميذ الذي تربي على طريقتنا يصف لك بما قرأه  
في الكتب أشباه لم يرها في حياته ويفوه أمامك بجملة من القول المشهور أو المنظوم  
تدل على ضروب من الوجدان هو لم يشمر بشيء منها قط وييدي من الهيج والانفعال  
في بعض أحوال لا علاقة له بها من حياة غيره ما لا أثر له في نفسه ولو أنك سألته أن  
يتقن يذكر الاشجار وظلالها والانعام وروعائها والربيع وأزهاره لوجد فيما يذكره  
من محفوظاته جميع ما قاله فيها فرجيل (١) وهوراس (٢) من النعوت والأوصاف

(\*) معرب من كتاب أبل القرن التاسع عشر (١) راجع عدد (١) من تعليقات الشذرة

التاسعة (٢) هوراس شاعر لاتيني مشهور ولد في سنة ٦٧ ومات سنة ٨ قبل المسيح.